الفصل الرابع

مكانة العقل فى فكر

الشيخ محمد عبده

١ –تمهيد:

لم يكن الشيخ محمد عبده مجرد مصلح دينى حفزته الأوضاع الدينية المتردية التى طغت على الدين الحقيقى إلى الكشف عنها، ومحاولة إزالة الغبار الذى تراكم على المفاهيم الدينية الصحيحة على مدى قورن التخلف والانحطاط الفكرى، ولو كانت هذا فقط شأن محمد عبده لكفاه ذلك فضلاً وشرفًا. ولكن محمد عبده كان –بالإضافة إلى ذلك– علمًا من أعلام الفكر بالمعنى الواسع لهذا المصطلح، وكان على يقين من أن قضية إصلاح الفكر الدينى لا تنفصل عن قضية إصلاح الفكر بصفة عامة، فكلاهما يؤثر فى الآخر إيجابًا أو سلبًا. وقد أخذ الشيخ محمد عبده على عاتقه مهمة الإصلاح بالمعنى الشامل.

وإصلاح الفكر يعنى العودة إلى مقررات العقل السليم، و تمكين هذا العقل من أداء دوره كاملاً فى الحياة، ومن هنا وجدنا الشيخ محمد عبده فى دعوته الإصلاحية يؤكد على أهمية العقل وأهمية دوره الحاسم فى إحداث التغيير المطلوب والإصلاح المنشود، فإذا استقام الفكر استقام الفهم للدين واستقامت أمور الحياة، وانفتح الطريق ممهدًا أمام الإنسان نحو تجديد الحياة وتطويرها والارتقاء بها وبناء الحضارة الإنسانية على أسس سليمة راسخة.

وتزخر كتابات الشيخ محمد عبده بالإشادة بدور العقل بوصفه أجل القوى التى منحها الله للإنسان، الأمر الذى يقتضى وضع العقل فى مكانه الصحيح لهداية الإنسان وإرشاده فى شتى آفاق هذا الكون الفسيح وفيما وراء هذا الكون أيضًا يقول الشيخ فى هذا الصدد:

"العقل قوة من أفضل القوى الإنسانية، بل هى أفضلها على الحقيقة"[١].

وفى موضع آخر يقول:

"والعقل من أجل القوى، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها، والكون جميعه هو صحيفته التى ينظر فيها وكتابه الذى يتلوه، وكل ما يقرأ فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه"[٢].

وقد كانت هذه النظرة للعقل الإنسانى هى مرتكز دعوته الإصلاحية التجديدية التى خاض فى سبيلها نضالاً طويلاً على كافة الأصعدة.

وفى هذا المقام نود التركيز على إبراز مكانة العقل فى فكر الشيخ محمد عبده، وذلك من خلال عرض موجز لمنهج الشيخ فى هذا الصدد والذى يتمثل فى تمهيد الطريق أمام العقل الإنسانى من ناحية، وفى التأكيد على الدور الفاعل المؤثر للعقل من ناحية أخرى، وليس فقط

---

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص٧٦ – دار المنار بمصر ١٣٧٣هـ.

(٢) المرجع السابق ص٤٤.

فى مجال الأمور الدنيوية، بل أيضًا فى مجال الأمور الدينية وعلى رأسها قضية الإيمان الدينى، كما نشير أيضًا إلى أن تمكين العقل من أداء دوره يمثل العنصر الأساسى فى البناء السليم للشخصية الإنسانية.

٢- تمهيد الطريق أمام العقل:

لقد أراد محمد عبده أن يضع الأسس الراسخة للبنيان الإصلاحى الجديد أن يمهد الطريق أمام العقل، وأن يزيل العقبات التى تعترض طريقه، وهى تلك العقبات التى تقف حائلاً بينه وبين أداء دوره كاملاً فى هذه الحياة. وإزالة هذه العقبات تعد شرطًا ضروريًا لا غنى عنه إذا أريد للعقل أن ينهض بالدور الذى ينبغى أن يقوم به فى سبيل ترقية الحياة والنهوض بها فى كافة المستويات، ومن هنا كان تأكيد الشيخ محمد عبده على ضرورة التخلص من هذه العقبات أولاً حتى لا يكبو العقل متعثرًا فيها إذا سار فى طريقه دون إزالتها. وأهم هذه العقبات فى نظر الشيخ يتمثل فى التقليد الأعمى وفى تخدير العقل عن طريق المصادر السيئة للتثقيف.

(أ) التقليد:

يشكل التقليد بمختلف صوره وأشكاله أهم العقبات التى تعترض طريق العقل الإنسانى فى سبيل أداء دوره الفعال والمؤثر فى الحياة، إذ يعد بمثابة إلغاء للعقل وقضاء على شخصية الفرد وكبت لقدراته وامتهان لكرامته، والإنسان الذى يكتفى بمجرد التقليد الأعمى للمذاهب والأفكار والأشخاص يتنازل عن إنسانيته، ويسلم زمام أمره إلى من يقوده، ويرتضى لنفسه أن يكون مجرد تابع لغيره، لا رأى له ولا تفكير. وهذا التقليد ضلال يعذر فيه الحيوان، ولكنه لا يصح بحال من الأحوال من الإنسان القادر على التفكير والتمييز.

وقد رفض الشيخ محمد عبده التقيد فى كافة أشكاله وصوره، وضرب على ذلك أمثلة كثيرة نذكر من بينها حديثه عن الفقهاء حيث يقول:

"جعل الفقهاء كتبهم هذه، على علاتها، أساس الدين، ولم يخجلوا من قولهم: إنه يجب العمل بما فيها وإن عارض الكتاب والسنة. فانصرفت الأذهان عن القرآن والحديث، وانحصرت فى كتب الفقهاء على ما فيها من الاختلاف فى الآراء والركاكة"[١].

وقد شدد الشيخ محمد عبده على ضرورة تحرير الفكر من أغلال التقليد، وأشار إلى أن السبق فى الزمان ليس آية من آيات العرفان، ولا معليا لعقول على عقول. فالسابق واللاحق يستويان فى التمييز والفكرة، وهناك إمكانات متوفرة أمام اللاحق لم تكن متاحة لمن سبقه:

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده – تحقيق د. محمد عمارة ج٣ ص١٩٥ – بيروت ١٩٨٠.

"فاللاحق له من علم الأحوال الماضية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل إليه من آثارها فى الكون ما لم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائه"[١].

وأشار الشيخ محمد عبده إلى دور الإسلام الحاسم فى مجال تحرير الفكر من أغلاله وقيوده حيث "أطلق سلطان العقل من كل ما كان قيده، وخلصه من كل تقليد كان استبعده، ورده إلى مملكته يقضى فيها بحكمه وحكمته"[٢].

وهكذا "تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما: استقلال الإرادة واستقلال الرأى والفكر، وبهما كملت له إنسانيته"[٣].

وقد ظل الشيخ محمد عبده طول حياته يحارب التقليد ويدعو إلى النقد ويحث عليه بوصفه أداة لتمحيص الآراء ومعرفة وجهه الحق فى الأفكار[٤]. ويلخص الشيخ دعوته إلى نبذ التقليد بقوله:

"ارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين: الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف[٥]... والأمر الثانى إصلاح أساليب اللغة العربية"[٦].

ويتصل برفض التقليد رفض لك سلطة تمثل ضغطًا قاهرًا على الفكر لتوجيهه فى اتجاه معين، وبصفة خاصة السلطة الدينية التى تجد لها مجالاً خصبًا فى عصور الظلام. ويؤكد الشيخ على هدم الإسلام لبناء هذه السلطة ومحو آثارها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم[٧].

ويعبر الشيخ عن ذلك بقوله:

---

(١) رسالة التوحيد تحقيق محمود أبو رية ص١٤٥ – دار المعارف – الطبعة الرابعة.

(٢) المرجع السابق ص١٤٥.

(٣) المرجع السابق ص١٥٥.

(٤) زعماء الإصلاح للأستاذ أحمد أمين ص٣٠٩ – دار الكتاب العربى بيروت (دون تاريخ).

(٥) لم يكن محمد عبده سلفيًا بالمعنى الشائع اليوم. فهذا التيار الذى يسمى نفسه اليوم تيارًا سلفيًا ليس له نصيب من السلفية التى يقصدها الشيخ محمد عبده؛ إذ هو اتجاه يدخل فى باب التقليد المذهبى الذى يرفضه الشيخ. فقد دعا محمد عبده إلى فتح باب الاجتهاد والتجديد، لا يقلد مذهبًا معينًا ولا يتبع فرقة بعينها فكان هو نفسه مدرسة تجديدية تحارب الجمود والتقوقع فى شتى المجالات.

(٦) نقلا عن: زعماء الإصلاح ص٣٢٧.

(٧) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص٥٦.

"لقد رفع الإسلام بكتابة المنزل ما كان قد وضعه رؤساء الأديان من الحجر على عقول المتدينين فى فهم الكتب السماوية استئثارًا من أولئك الرؤساء بحق الفهم لأنفسهم"[1].

وهكذا لا ينبغى –بعد أن قام الإسلام بإزالة هذه العقبة الكأداء من طريق العقل الإنساني– أن تقوم فئة من الفئات بوضع هذه العقبة مرة أخرى فى طريق الإنسان، فإن ذلك يعد جناية على الدين والفكر على السواء.

(ب) مصادر التثقيف:

المصادر التى يستقى منها الناس ثقافتهم ومعارفهم لها دور حاسم فى التكوين الفكرى للأفراد والجماعات. ومن هنا ينبغى أن تكون هذه المصادر صالحة لتغذية العقول والأفهام حتى لا تؤذى هذه العقول بما تنقله من جراثيم فكرية وأوبئة ثقافية تهدم العقول وتقضى على صحة الفكر والثقافة.

ولما كانت الكتب تمثل أهم الينابيع التى تستقى منها العقول زادها فقد رأينا الشيخ محمد عبده يلفت الأنظار إلى هذه الحقيقة محذرًا من الأضرار البالغة التى تنجم عن الكتب التى تعمل على تخدير العقل وتشل فاعليته، وهى تلك الكتب التى يصفها بأنها:

"كتب الأكاذيب الصرفة وهى ما يذكر فيها تاريخ أقوام على غير الواقع.. ومنها كتب الخرافات، وهى تارة تبحث عن نسبة بعض الكائنات إلى الأرواح الشريرة المعبر عنا بالعفاريت، وتارة تتكلم فى ارتباط الحوادث الجوية والآثار الكونية ببعض الأسباب التى لا مناسبة بينها وبين ما زعموه ناشئًا عنها، وتارة تثبت ما لا يقبله العقل ولا ينطبق على قواعد الشرع الشريف"[2].

ولا يخفى ما فى هذه المؤلفات من أخطار، إذ هى تنشر الجهل والخرافات بين الناس، وتحول بينهم وبين معرفة الأسباب الحقيقية للأحداث الكونية وللأحداث التى تمر بهم فى حياتهم اليومية على المستوى الفردى والجماعى، وتجعلهم يركنون إلى الكسل العقلى، ويرتضون لأنفسهم الشلل الفكرى، فلا يرون حقيقة ما هم عليه من جمود وتخلف وانحطاط.

والأمر مؤسف حقًا أن أمثال هذه الكتب التى تحذر العقل وتشل فاعليته لا تزال تجد لها سوقًا رائجة فى أيامنا هذه.

وإذا كان الشيخ محمد عبده قد نبه إلى هذا الخطر الداهم الذى شل تفكير المسلمين بالفعل زمنًا طويلاً فإنه من ناحية أخرى لا يقف بنا عند حدود هذا التنبيه إلى السلبيات القاتلة،

---

(1) الأعمال الكاملة ج٣ ص٤٤٤.

(2) المرجع السابق ص٥٠.

وإنما يتجاوز ذلك إلى ضرورة الخروج من هذا المأزق. فإذا كانت الكتب التى أشار إليها تعد من المعوقات الرئيسية التى لابد من تحرير العقل من أسرها فإنه من جانب آخر يوجه العقل بعد هذا التحرر إلى ضرورة التزود بالزاد الفكرى السليم، وذلك بالحصول على المعلومات المفيدة والمعارف النافعة من الكتب المفيدة الصحيحة والعلوم النافعة التى تؤهل صاحبها لتميز الغث من السمين من الأفكار، وتقويم البراهين وتسديدها وكيفية الوقوف على الحقائق وتحديدها[1].

وقد كان محمد عبده نفسه مثالاً عمليًا لذلك حيث راح – وهو لا يزال فى مرحلة طلب العلم – يغذى عقله وفكره بالعلوم العقلية والمنطقية النافعة. وقد وشى الراشون حين ذاك إلى والده بأن ولده يدرس علوم الضلالات التى توقع فى الشبهات وتزلزل المعتقدات،فسافر الوالد إلى ولده فور سماعه نبأ هذه "الكارثة" ليصل إليه فى القاهرة فى الساعة الثالثة صباحًا محذرًا منذرا بالويل والثبور وعظائم الأمور، كما يروى ذلك الشيخ محمد عبده فى مقال له فى صحيفة الأهرام عام ١٨٧٧. وقد هدأ الابن من ثورة أبيه وطمأنه إلى أن ما يدرسه أمور لا صلة لها بالكفر والضلال، فدراسة العلوم العقلية تعد ضرورة لا غنى عنها لأمور الدين والدنيا على السواء[2].

وما قاله محمد عبده عن ضرورة حسن اختيار الكتب التى تغذى العقل ينطبق على كل منتجات الفكر و الأدب والفن فى أجهزة الاتصال المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية وفى المسرح والسينما والفيديو وغير ذلك من مصادر ثقافية مختلفة تؤثر بطريقة أو بأخرى فى بناء شخصية الفرد والمجتمع.

٣- بناء الشخصية الإنسانية:

لقد كان محمد عبده بتأكيده على أهمية العقل وضرورة تمهيد الطريق أمامه يؤكد فى الوقت نفسه على سلامة بناء الشخصية الإنسانية، ويبرز ما لها من استقلالية فى الفكر والعمل، فجوهر الشخصية الإنسانية يتمثل فى العقل الذى به سما الإنسان وارتفع قدره على كل الكائنات الأخرى، وليس هناك مجال للمقارنة بين الإمكانات المادية وقدرات الإنسان العقلية، فهذه الإمكانات بدون القدرات العقلية لا قيمة لها. والغنى الحقيقى هو فى فاعلية الدور الإنسانى، والفقر الحقيقى هو فى غياب هذا الدور، أى فى غياب العقل:

والنظرة السطحية لتشخيص حالة التخلف التى تعانى منها البلاد ترجع ذلك إلى قلة الموارد والإمكانات المادية – كما يتردد ذلك كثيرًا فى أيامنا أيضا – ولكن الشيخ محمد عبده يرفض هذه النظرة السطحية.

---

(1) الأعمال الكاملة جـ٣ص ١٥، ١٧،٥١

(2) المرجع السابق ص١٥ وما بعدها

ويرى أن الفقر الحقيقى الذى تعانيه البلاد ليس فى قلة الموارد والإمكانات المادية، وإنما فقر البلاد يتمثل فى قلة الراشدين فيها، وغناها الحقيقى يتمثل فى كثرة المهتدين، إذ مهما كانت الموارد فإنها بدون عقل رشيد وفكر سليم لا قيمة لها:

"فماذا تصنع الوسائل المهيئة إذا لم تجد من يستعملها فيما هى وسيلة له؟ وأى شئ تفيد الغرض إذا لم تصادف من ينتهزها؟ وهل يقطع السيف الصقيل بلا بطل؟".[1]

وهنا تتضح القيمة الكبرى التى بدونها لا يمكن السير فى طريق الإصلاح والنهوض،،تلك هى قيمة الإنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى: الإنسان الراشد المهتدى بنور العقل، الواعى بأهدافه، الفاهم لما يحيط به، إنه فى النهاية خليفة الله فى الأرض.

ومن هنا ينبغى أن تتاح الفرصة أمام الإنسان لبناء شخصيته بالتعليم الصحيح والتربية السليمة، والاهتمام بصفة خاصة بالتعليم الدينى، لأن هذا التعليم إذا كان يسير فى الاتجاه الصحيح فإنه سيقود إلى وعى عام وفهم مستنير، أما إذا كان يسير فى اتجاه غير سليم فإنه سيؤدى لا محالة إلى التخلف والانحطاط، بل إن الشيخ محمد عبده يرجع أسباب الخذلان فى المجتمع الإسلامى إلى القصور فى التعليم الدينى. وفى ذلك يقول: "إذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب الخذلان لا نجد إلا سببًا واحدًا وهو القصور فى التعليم الدينى"[2] ذلك لأن البعد الدينى لدى الإنسان يمثل مركز الدائرة فى تكوين شخصيته، ومن هنا يمتد تأثيره إلى كل الخطوط التى تصل المركز بمحيط الدائرة.

ومما يعرقل نمو الشخصية الإنسانية ما يشيع بين الناس من جبرية مرفوضة وتواكل مذموم وسلبية بغيضة –ويفرض الشيخ تفرقة حاسمة بين هذا الاعتقاد الجبرى الباطل وبين الاعتقاد بالقضاء والقدر مبينًا أن "الاعتقاد بالقضاء والقدر إذ تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجرأة والإقدام، وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك"[3].

فالإنسان قد حياه الله بميزة العقل والفكر ومنحه الحرية فى الاختيار والفعل، فلا يعقل إذن أن تسلب منه هذه المزايا بالوقوع فى أسر عقيدة جبرية تلغى شخصيته وتجعله كالريشة فى مهب الريح تميلها حيث تميل، وهذا ما يبرزه الشيخ فى حديثه عن الإنسان حيث يقول:

---

(1) الأعمال الكاملة جـ٣ص ٤٢

(2) نقلا عن: الفكر الإسلامى الحديث للدكتور محمد البهى ص١٤١ – دار الفكر – بيروت ١٩٧٣.

(3) المرجع السابق ص١٥٦.

"إنه مفكر مختار فى عمله على مقتضى فكره، فوجوده الموهوب مستتبع لمميزاته هذه، ولو سلب شىء منها لكان إما ملكًا أو حيوانًا آخر، والغرض أنه الإنسان، فهبة الوجود له لا شيء فيها من القهر على العمل"[1].

فعقيدة القضاء والقدر بعيدة إذن عن أن تكون بمثابة نوع من أنواع القهر والإجبار على العمل. وإذا كان الأمر كذلك فإن على الإنسان أن يسعى إلى بلوغ كماله النوعى الذى يتمثل:

"فى إطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات"[2].

وبذلك تنطلق قدرات الإنسان بلا حدود فى سبيل بناء الحياة الإنسانية على كافة المستويات.

ولا يجوز بأى حال من الأحوال أن يخضع فكره وعقله لشىء إلا للحق وحده. وتتمثل شجاعة الإنسان فى تحرير نفسه من قيود التقليد أولاً ثم فى الخضوع لميزان الحق ثانيًا، وفى ذلك تتمثل حريته.

يقول الشيخ فى هذا الصدد:

"لا ينبغى للإنسان أن يذل فكره لشىء سوى الحق، والذليل للحق عزيز! نعم، يجب على كل طالب أن يسترشد بمن تقدمه سواء كانوا أحياء أم أمواتا، ولكن عليه أن يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم. فإن وجده صحيحًا أخذ به، وإن وجده فاسدًا تركه. والحاصل أن الفكر الصحيح يوجد بالشجاعة. والشجاعة هنا قسمان: شجاعة فى رفع القيد الذى هو التقليد الأعمى، وشجاعة فى وضع القيد الذى هو الميزان الصحيح الذى لا ينبغى أن يقرر رأى ولا فكر إلا بعد ما يوزن به ويظهر رجحانه.

وبهذا يكون الإنسان حرًا خالصًا من رق الأغيار عبدًا للحق وحده"[3].

٤- العقل وأصول الاعتقاد:

مجال عمل العقل لدى الشيخ محمد عبده لا يقف عند حدود الأعمال الدنيوية، بل يمتد إلى أخطر قضية دينية، وهى قضية الإيمان بخالق هذا الكون، فهذا الإيمان بوجود الله ووحدانيته لا يجوز أن يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي. وإذا كان الأمر كذلك فإنه "لا يصح أن يؤخذ

---

(١) الأعمال الكاملة ج٣ ص٣٨٩.

(٢) المرجع السابق ٤٠٩.

(٣) تاريخ الإمام ج١ ص٧٦٢ وما بعدها (نقلا عن: الفكر الإسلامى الحديث ص١٥٣).

الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة"[1]. لأن الإيمان بالرسل والكتب المنزلة ينبنى على الإيمان بالله أولا.

ومن أجل ذلك يؤكد الشيخ على أن الإسلام لا يعول فى الدعوة إلى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده إلا على: "تنبيه العقل البشرى وتوجيهه إلى النظر فى الكون واستعمال القياس الصحيح.... وأطلق للعقل البشرى أن يجرى فى سبيله الذى سنته له الفطرة بدون تقييد"[2].

وهكذا نرى أن الإسلام فى دعوته إلى هذا الأصل الأول من أصول الاعتقاد –وهو الأصل الذى ينبنى عليه كل دين صحيح– "لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى. فلا يدهشك بخارق العادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية"[3].

وتعد صحة العقيدة وتجريدها من الخرافات والبدع والأوهام سبيلاً إلى سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب، وطريقًا إلى استقامة أحوال الأفراد واستنارة بصائرهم بالعلوم الحقيقية دينية ودنيوية، وتهذيب أخلاقهم بالملكات السليمة، وبذلك يسرى الصلاح فيهم إلى الأمة ما دام العقل هو القاعدة التى انطلقت منها أصول الاعتقاد[4].

وإذا كان الدين يعطى للعقل هذا الدور العظيم فى أصول الاعتقاد التى هى مفتتح كل دين فإنه من غير المعقول أن يسلب منه هذا الدور بعد ذلك فى أى مرحلة لاحقة من مراحل الدين. فهناك إذن من البداية نوع من التآخى والتآلف بين الدين والعقل. وهذا موقف مبدئى لا يجوز لأى كائن مهما علا قدره ولا لأى سلطة مهما كان شأنها أن تغير من ذلك وتصطنع خصومة بين الدين والعقل.

فإذا بدا هناك ما يوحى بالتعارض بين العقل والنقل فإن القاعدة فى ذلك هى الأخذ بما يدل عليه نظر العقل ودليله. ويقول الشيخ فى هذا الصدد:

"اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقى فى النظر طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الأمر إلى الله فى علمه، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل. وبهذا الأصل، الذى قام على

---

(1) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص٤٨.

(2) المرجع السابق ص٤٦.

(3) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص٤٨.

(4) زعماء الإصلاح ص٣٣١.

الكتاب وصحيح السنة وعمل النبى ﷺ، **مهدت بين يدى العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد.** فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب إلى ما هو أبعد من هذا؟" [1].

واتساع مجال العقل إلى غير حد من شأنه أن يفسح مجالاً واسعًا لاختلاف الآراء وتعدد الرؤى الفكرية، الأمر الذى يثرى الحياة الفكرية للأمة ويساعدها على الوصول إلى أفضل الآراء لحل مشكلاتها المختلفة، كما يؤدى إلى الإبداع الفكرى الذى يشمل جميع مجالات الحياة. والأمة التى ينشط فيها العقل ويتحرك فيها الفكر أمة لا يخشى عليها من شىء لأنها تكون حية بحياة عقول أبنائها متحركة بحركة أفكارهم.

وفى مثل هذا المناخ الفكرى السليم يختفى التعصب الأعمى وما يصحبه من ضيق فى الأفق وتحجر فى الفكر، ويحل محل ذلك التسامح واحترام وجهات نظر الآخرين، وافتراض حسن النية فيما يصدر عنهم من آراء وأفكار حتى فيما يتصل بأمور الدين. وفى هذا الصدد يبرز الإمام محمد عبده "ما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم، وهو إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر. فهل رأيت تسامحًا مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟"[2].

٥- خاتمة:

لقد اتضح لنا من خلال ما عرضناه فى السطور السابقة أن الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد عبده تقوم فى جوهرها على أساس من العقل وتحكيمه فى كافة المجالات وتمكينه من أداء دوره كاملاً فى هذه الحياة حتى يمكن للأمة أن تنهض من كبوتها، وتزيل عن كاهلها أثقال التخلف، وتسير فى طريقها بخطى ثابتة متحررة من ظلمات الجهالة وغشاوات الخرافات والأوهام متسلحة بالعلم متحصنة بالدين.

ونحن اليوم لا نزال أحوج ما نكون إلى استيعاب هذه الدروس القيمة من تراث الإمام محمد عبده، فكلماته لا تزال تعبر عن أوضاعنا وكأنه -رغم مرور ما يقرب من قرن من الزمان- لا يزال يعيش بيننا يشخص أدواءنا الفكرية ويصف لها العلاج، وهكذا تظل أفكار العظماء نابضة بالحياة تنشر أضواءها فى كل مكان.

---

(1) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص٥٢، ٥٣.

(2) المرجع السابق ص٥٣.

وقد كان لأفكار الشيخ صداها الواسع فى كل مكان فى العالم الإسلامى. ولكن أجيالنا الجديدة تفتقر إلى معرفة عظمائها من أمثال الإمام محمد عبده والانتفاع بما خلفه لنا من فكر وما جسمته شخصيته من كفاح طويل فى سبيل ترسيخ قواعد الفكر الصحيح والمنطق السليم الذى هو بداية الطريق لكل نهضة ومفتاح التقدم أمام كل أمة.

لقد دعا الشيخ محمد عبده إلى أن "العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عرف بالعقل، ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معا حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة فى المدنية الجديدة، ونقتبس منها ما يفيدنا، لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا فى عزلة، ولابد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم، وأكبر سلاح فى الدنيا هو العلم، وأكبر عمدة فى الأخلاق هو الدين، ومن حسن حظ المسلمين أن دينهم يشرح صدره للعلم ويحض عليه، وللعقل ويدعو إليه، وللأخلاق الفاضلة التى تدعو إليها المدنية الحاضرة"[1].

ولكن الأمر الذى يؤسف له أنه كلما سار بنا ركب النهوض خطوة إلى الأمام أطلت برأسها من هنا وهناك عناصر التخلف التى تتمسح بالدين وتتاجر بالسياسة لتجذبنا إلى الوراء خطوات. ومن هنا تعثرت الأمة فى سيرها وتخلفت مسيرتها فى الوقت الذى يسرع فيه غيرنا الخطى حتى بعدت الشقة بيننا وبينهم، وأصبحنا فى مؤخرة الركب ننعى حظنا العاثر، ونبحث هنا وهناك عن شماعات نعلق عليها قصورنا وتقصيرنا.

إن القضية المصيرية اليوم أمام الأمة الإسلامية هى قضية التخلف فى شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمادية وفى مجالات التفكير الدينى، والعقل ينبغى أن يأخذ دوره كاملاً لإنقاذ الأمة من وهدة هذا التخلف. أما شغل الأمة بقضايا إطالة اللحى وتقصير الثياب والدفاع عن النقاب والسواك وتعدد الزوجات وما شاكل ذلك من أمور هامشية فإنه يعد جناية فى حق الأمة وتعويقًا لها عن مسيرتها نحو التقدم واللحاق بركب العصر.

([1]) زعماء الإصلاح ص٣٣٧.

فهرس

مقدمة ٥

الفصل الأول:

الدين والفلسفة ٧

١-تمهيد:

مقولات شائعة: ٨

٢-الفلسفة ظاهرة إنسانية: ٩

٣- صلة الدين بالفلسفة: ١١

٤- موقف الإسلام من الفكر الفلسفى: ١٣

٥- مجالات النشاط الفكرى فى الإسلام: ١٦

٦- قضية النزاع بين الدين والفلسفة: ١٧

٧- موقف فلاسفة المسلمين من الفلسفة اليونانية: ١٩

٨- خاتمة: ٢٣

الفصل الثانى:

الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية لدى ابن رشد ٢٦

تمهيد: ٢٧

أولا:

المنطلق الحقيقى لفلاسفة المسلمين فى قضية التوفيق بين الدين والفلسفة: ٢٨

(أ) قضية التوفيق بصفة عامة: ٢٨

(ب) الإسلام ووحدة الحقيقة: ٢٩

ثانيا:

الموقف المبدئى لابن رشد فى قضية التوفيق بين الدين والفلسفة: ٣٤

قضية وجود الله ٣٥

قانون التأويل: ٣٦

منزلة الدين من الفلسفة: ٣٨

خاتمة: ٣٩

الفصل الثالث:

مفهوم التنوير فى فكر ابن رشد ٤٢

تمهيد: ٤٣

مفهوم التنوير: ٤٤

٣- ابن رشد والتنوير: ٤٥

٤- الجانب المنسى من فكر ابن رشد: ٤٦

٥- ابن رشد فى فهم الرشدية اللاتينية: ٤٨

٦- التنوير الرشدي: ٤٩

٧- الصلة بين الفلسفة والدين فى نظر ابن رشد: ٥١

٨- كلمة ختامية: ٥٢

الفصل الرابع:

مكانة العقل فى فكر الشيخ محمد عبده ٥٤

١-تمهيد: ٥٥

٢- تمهيد الطريق أمام العقل: ٥٦

(أ) التقليد: ٥٦

(ب) مصادر التثقيف: ٥٨

٤- العقل وأصول الاعتقاد: ٦١

٥- خاتمة: ٦٣

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية تصدرها دار المعارف منذ عام ١٩٤٣، مساهمة منها فى نشر الثقافة والعلوم والمعرفة بين قراء العربية صدر منها حتى الآن أكثر من ستمائة عدد لكبار الكتاب منها:

- البحر فضاءنا الداخلى

رجب سعد السيد

- الليزر الأشعة الساحرة

د. محمد زكى عويس

- صور من قريب

حسن فؤاد

- قاهريات مملوكية

جمال الغيطانى

- إنى صاعدة

حلمى سلاّم

- ثقب فى الفضاء

المهندس سعد شعبان

- الغاز الطبيعى والاستخدام المنزلي

مهندس أحمد محى الدين

- ابتسامات وحَية رقطاء

د. يوسف جوهر

- النساء حين يتحطمن

صلاح عبد الصبور

- أبناؤنا المنحرفون

أمينة السعيد

- البطولة فى الشعر العربى

د. شوقى ضيف

- أحاديث حول الأدب والفن والثقافة

عبد العال الجمامصى

- بنك القلق

توفيق الحكيم

- إدارة عموم الزير

د. حسين مؤنس

- تنمية عادة القراءة عند الأطفال
- الحرية فى الإسلام

يعقوب الشارونى

د. على عبد الواحد وافى

رقم الإيداع		١٩٩٦/٨١٦٥
الترقيم الدولى	977-02-5291-3	ISBN

١/٩٦/٢٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع)